المستجدات الدولية وأثرها في السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وانعكاسها على تركيا والكرد والأزمة السورية

د. عبد الإله المصطفى – باحث في مركز الفرات للدراسات

محاور الدراسة

أولاً: المستجدات الدولية وأثرها في السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط

1- الإيديولوجيا الأوراسية

2- مشروع "الحزام والطريق" الصيني

ثانياً: أثر المستجدات الدولية في السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط (إيران وتركيا)

1- الصراع الأمريكي- الإيراني

2- العلاقات الأمريكية- التركية

ثالثاً: منعكسات المستجدات الدولية في السياسة الأمريكية حيال الكرد والأزمة السورية

1- التهديدات التركية لشرقي الفرات

2- أبعاد الاتفاق الأمريكي- التركي وفكرة "المنطقة الآمنة"

النتائج والتوصيات..

مقدمة

تشارك العديد من القوى الدولية والإقليمية في الأزمة السورية، الأمر الذي جعل من سوريا ميداناً تتلاطم فيه أمواج السياسة الدولية، وربما يجعلها مسرحاً لاستشراف مستقبل النظام العالمي في ظل التطورات الدولية التي تسعى فيها القوى الصاعدة إلى احتواء حالة الهيمنة التي تمارسها الولايات المتحدة، والسعي إلى إنشاء نظام عالمي جديد يكون متعدد القطبية بعد أن استأثرت واشنطن فيها بموقع وصفة القطب الواحد خلال الثلاث عقود الماضية.

شكّل الكرد طرفاً محلياً ثالثاً في الأزمة السورية، وكانوا طرفاً حيادياً في أغلب مراحل الأزمة باستثناء شريحة راهنت على الائتلاف المعارض، وسعوا إلى البحث عن الحلول الحقيقية والمنطقية لها، وقدموا مشاريع سياسية كانت ولا تزال تشكل المخرج الحقيقي من متاهات هذه الأزمة.

ارتطمت فاعلية دور الكرد بمحاولات الحجب التركي لهم في الميادين والمحافل الدولية، كما سعت تركيا إلى خنق هذا الدور ومحوه عسكرياً، ولكنهم تمكنوا من التغلب على حالة الحجب هذه من خلال تحركات دبلوماسية وعمليات ميدانية (عسكرية ومدنية- إدارية)، وكسبوا من خلالها احترام وود المجتمع الدولي والقوى الدولية الفاعلة، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

يبدو أن تركيا بقيادة العدالة والتنمية لا تستكين ولا تلين، ولا تزال تحاول القضاء على تجربة الكرد في شمال سوريا بدوافع عنصرية فظّة، وقد نجحت في عفرين إثر تهاون روسيا وتساهل الحكومة السورية، وهي تسعى وبكل قوتها إلى وأد بقية التجربة في شرقي الفرات، في حين أن الكرد يسعون للحفاظ عليها بكافة السبل الدبلوماسية والدفاعية، وهو ما يدفع بهم إلى الاستمرار في التعامل مع التحالف الدولي لتأمين حماية دولية لهم في ظل مواصلة الحكومة السورية رفض التعامل مع هذه التجربة حتى هذا اليوم.

تشكل التناقضات الدولية بيئة خصبة لظهور تحالفات قد لا تبدو منطقية للوهلة الأولى، ولكنها كانت مجدية في عدة اختبارات تاريخية، ونستذكر هنا تجربة مبارك الصباح في بدايات القرن العشرين الذي تمكن عبر التناقضات الدولية من تأمين حماية للكويت، وإيصالها إلى بر الأمان في خضم الصراعات بين القوى العظمى على طرق التجارة الدولية آنذاك، وذلك من خلال مناورات دبلوماسية ذكية سجلها له التاريخ في صفحته السياسية. وهي تشبه الحالة التي يتم تفعيلها الآن بحكم ظهور مستجدات دولية ضمن مساعي قوى صاعدة في كسر نظام القطب الواحد وإنهاء الهيمنة الأمريكية, وهي حالة تسهم في خلق بيئة دولية متناقضة المصالح، ويمكن للكرد الاستفادة منها للتغلّب على الغطرسة التركية، كما تمكّن مبارك الصباح من التخلص والتغلب على الغطرسة العثمانية آنذاك، فيما لو تمكنوا من إجراء الحسابات السياسية والدبلوماسية الدقيقة.

ظهرت الكثير من المشاريع السياسية والاقتصادية ذات العيار الثقيل في الساحة الدولية التي يشكل الشرق الأوسط وآسيا الوسطى ميادينها الرئيسية، ويبدو أنها تستهدف السياسة الأمريكية ومشروعها "آسيا الوسطى الكبرى" الشبيه بمشروعها السابق "الشرق الأوسط الكبير"؛ إذ تسعى الدول ذات الصلة (روسيا والصين) إلى تشكيل أحلاف سياسية واقتصادية لمجابهة تمدد أمريكا، وعرقلة هذا المشروع، وضرب مصالحها، وإنهاء هيمنتها العالمية. وهذه المستجدات تؤثر مباشرة في سياسة واشنطن في الشرق الأوسط؛ لا سيما أنها تشكل تهديداً حقيقياً لمصالحها ومناطق نفوذها، كما تمس أمن حلفائها الذين تعتمد واشنطن عليهم وعلى مناطقهم في إنشاء نقاط ارتكازها في الشرق الأوسط، وآسيا عموماً.

إن قضية الهيمنة العالمية، وعمق القضايا الاستراتيجية، وتضارب المصالح الاقتصادية تشكل الأساس الذي تتعاطى من خلاله القوى العظمى مع قضايا السياسة الدولية، وهي نفسها التي أشعلت الخلافات والأزمات حول العالم، بدءاً من سياسة الفوضى الخلّاقة التي تسببت في إشعال ثورات مناطق النفوذ السوفيتي السابقة (صربيا، وجورجيا، وأوكرانيا، وقيرغيزستان) في الفترة ما بين 2001 و2005، وصولاً إلى الاضطرابات في أوكرانيا عام 2010 التي أفضت إلى وصول حكومة موالية للغرب، ورد فعل روسي بضم القرم إليها كونها مركز الأسطول الروسي الجنوبي في البحر الأسود، ورد فعل أوروبي أمريكي آخر يمنع روسيا من تمرير مشروع خط أنابيب السيل الجنوبي لتوصيل الغاز الروسي إلى شرق وجنوب أوروبا من دون المرور بأوكرانيا، مع فرض أمريكا لعقوبات مالية عليها بالتوازي مع الهبوط الحاد لأسعار النفط أواخر عام 2014، الأمر الذي أثّر بشدة في الاقتصاد الروسي المرتبط أساساً بتصدير الغاز والنفط[1]. كما استثمرت هذه القوى أيضاً الأزمات الدولية التي نتجت في ظروف مختلفة، ولأسباب مختلفة، وفي مناطق مختلفة من العالم، وأقحمتها في صلب اهتماماتها، وبدأت بتشجيع ودعم أطراف هذه الأزمات حسب مصالحها، ووفق المحددات آنفة الذكر، فمن أزمة أوكرانيا، إلى أزمات "الربيع العربي" وصولاً إلى أزمة فنزويلا.

إن المستجدات الدولية تأخذ أبعاداً سياسية تلقي بظلالها على كافة المحاور السياسية العالمية، ومنها أزمات الشرق الأوسط، وبالتالي فإن الحالة السورية لا يمكن فصلها عن طبيعة هذه المستجدات ومؤثّراتها، كما أن تحليل واقع وأثر القوى المشاركة فيها (الدولية والإقليمية والمحلية) يحتاج بالضرورة إلى معرفة عمق هذه المستجدات، ومدى جديتها، ومراحل تطورها.

أولاً: المستجدات الدولية وأثرها في السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط

1- الإيديولوجيا الأوراسية

[1] علي، معتز، هل أعلن أردوغان ومادورو نهاية الغطرسة الأميركية؟، مدونات الجزيرة، 31/ 08/2019.
https://blogs.aljazeera.net/blogs/2019/8/31/%D9%87%D9%84-%D8%A3%D8%B9%D9%84%D9%86-%D8%A3%D8%B1%D8%AF%D9%88%D8%BA%D8%A7%D9%86-%D9%88%D9%85%D8%A7%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%88-%D9%86%D9%87%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B7%D8%B1%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A9

إن تعريف واشنطن لمشروع "آسيا الوسطى الكبرى" هو تفسير يختلف عن الرؤية الصينيّة والروسيّة لأسيا الوسطى، وهو مصطلح يحدد اتجاهات واشنطن نحو قضايا استراتيجية بحتة تتعلق بمناطق النفوذ من خلال إقامة العلاقات مع دول هذه المنطقة من أجل تحقيق أهداف جيوسياسية، ولتضييق الخناق على روسيا والصين وتحديد وتقليص دائرة نفوذهما داخل حدودهما الجغرافية، وذلك بتوجيه مسار بلدان هذه المنطقة (منغوليا، وكازاخستان، وأوزبكستان، وقيرغيزستان، وتركمانستان، وطاجيكستان، وأفغانستان.. وغيرها) نحو جنوب آسيا، وتجنّب اتّباعها النهج السياسي لروسيا والصين. وكلتا هاتين القوتين تدركان هذا الأمر تماماً، وهو ما جعل روسيا تحديداً، ترسم مشروعها "أوراسيا الكبرى" في محاولة لمجابهة المشروع الأمريكي، وترى في الجمهوريات الحالية في آسيا الوسطى والقوقاز، وحتى أوروبا الشرقية، دولاً أجنبية قريبة منها، ويجب أن تنال أعلى درجات الأولوية في السياسة الخارجية الروسية، وقد سعى الكرملين إلى إيجاد مجموعة من الاتحادات الاقتصادية والسياسية الأوروأسيوية تضم- إلى جانب البلدان السابقة- كلاً من الصين والهند وباكستان وإيران، وهي الآن ضمن اهتمامات بوتين الرئيسية، وهو الذي يسعى منذ فترة طويلة لإنشاء "أورآسيا الكبرى"، وتعتبر موسكو أن أي تلاعب غربي في هذه المنطقة سيعد تجاوزاً للخطوط الروسية الحُمر.

تثير تركيا اهتمام منظّري الفكرة الأوراسية؛ كونها تحظى بموقع استراتيجي متميز بين الغرب والشرق، وتشكل نقطة متقدمة جغرافياً في المجموعة الآسيوية؛ فضلاً عن كونها نقطة مواجهة، لذا ستكون الرغبة في ضمها إلى هذه المجموعة من أكبر التحديات لروسيا، وهو ما نعتقد بأنه سار لمسافات بعيدة، وينتظر فقط لحظة الطلاق التام ما بين أنقرة وواشنطن.

يدور صراع خفي في أروقة الداخل التركي بين تيارين سياسيين واسعين هما: الكتلتان "الأطلسية والأوراسية"، حيث تتجه الكتلة الأطلسية صوب الغرب، في حين تدفع الكتلة الأوراسية تركيا باتجاه المحور الروسي- الصيني[2]، وهما الآن في حالة سباق محموم على النفوذ والسلطة، وتستند كل منها إلى تكتلات اقتصادية عملاقة تضم كل منها آلاف الشركات التركية[3]، وقد يتداخل نفوذ هاتين الكتلتين أحياناً؛ فضلاً عن ظهور بوادر شرخ في صفوف حزب العدالة والتنمية، وانقسامه ما بين شريحة باتت تؤيد المحور الأوراسي، وهي تيار الرئيس التركي أردوغان ومناصريه، وشريحة أخرى ظلّت تدور في فلك المحور الغربي- الأطلسي،

[2] حمي، فرهاد، الأتراك الأوراسيون وعقيدة مواجهة الإمبريالية الغربية، NPA، 23/ 07/ 2019.
https://npasyria.com/blog.php?id_blog=2470&sub_blog=15&name_blog=%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D9%83%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%86%20%D9%88%D8%B9%D9%82%D9%8A%D8%AF%D8%A9%20%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%AC%D9%87%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9

[3] حمي، فرهاد، حرب المواقع الشرسة بين التكتلات الاقتصادية في تركيا، NPA، 15/08/2019.
https://npasyria.com/blog.php?id_blog=3041&sub_blog=15%20&name_blog=%D8%AD%D8%B1%D8%A8%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%A7%D9%82%D8%B9%20%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D8%B3%D8%A9%20%D8%A8%D9%8A%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%83%D8%AA%D9%84%D8%A7%D8%AA%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D8%A9%20%D9%81%D9%8A%20%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7

الأمر الذي قد يؤدي إلى خلط شديد لأوراق تركيا الداخلية لدرجة استحالة إعادة ترتيبها إلا بعد مخاض عسير.

ففي الوقت الذي ما تزال فيه الكتلة الأطلسية تتابع السير التقليدي خلف المبادئ الليبرالية للنظام العالمي، مع ذكريات "الزمن الجميل" للحرب الباردة (حسب المصالح التركية)، فإن الكتلة الأوراسية، التي تضم نخباً سياسية وأكاديمية، وقيادات عسكرية وأمنية تنتمي جميعها إلى ائتلاف غير متوافق حسب اتجاهات أعضائه الفكرية (القومية الكمالية، والقومية اليسارية، والإسلامية)، تدعو إلى تعزيز قبضة الدولة على الاقتصاد ضمن عقيدة "رأسمالية الدولة المركزية"، وتدعو تركيا إلى إنهاء عضويتها في حلف الناتو ووقف المطالبة بدخول الاتحاد الأوروبي، وتروّج لمبدأ انهيار الهيمنة الأمريكية عالمياً، وبأن المصالح التركية تتوافق الآن مع روسيا والصين وإيران والهند وباكستان[4].

ومن هنا فإن التيار الأوراسي المهيمن على السلطة بقيادة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان المدعوم من برنتشيك (رئيس حزب الوطن الداعم الرئيس للمحور الأوراسي)، وبخجلي (رئيس الحزب القومي المؤتلف مع حزب العدالة والتنمية في السلطة)، يقود صراعاً خفيًّا ضد التيار الموالي للغرب، منذ اندلاع أزمات الربيع العربي أو بعدها بقليل، ويسعى إلى تثبيت النسق التركي في السياسة الخارجية الداعي إلى الانضمام إلى المحور الروسي- الصيني.

إن محاولات التوجه الأوراسي لتركيا؛ إلى جانب التحالف الأمريكي المعلن مع الكرد يفيد باستحالة ردم الهوة ما بين واشنطن وأنقرة في المستقبل القريب، ويشكل حالة جديدة من المستجدات الدولية التي ستؤثر في طبيعة سياسة الولايات المتحدة حيال الشرق الأوسط، الأمر الذي سيدفع باتجاه تمتين العلاقات الكردية- الأمريكية، مقابل انحسار العلاقات التركية- الأمريكية، ما دامت أن أنقرة سائرة في هذا الاتجاه. وما علينا الآن إلا أن نتخيل بأن تركيا ستحاول تصحيح المسار لرأب هذا الصدع، فهي حتماً ستصطدم وقتها بصراع داخلي واسع؛ لأنها يجب أولاً أن تتخلّص من الرئيس التركي أردوغان وكتلته الأوراسية مع التكتلات الاقتصادية الرديفة والموالية لهما، كما أنها خارجياً ستواجه روسيا وإيران التي ذهبت معهما إلى مسافات بعيدة في الأزمة السورية، وتكاد العودة منها تكون مستحيلة أو أنها ستكون باهظة الثمن.

وتجدر الإشارة إلى أن التوجه الأوراسي، وعبر منظّره الرئيسي ألكسندر دوغين، مستشار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، يدعو تركيا صراحة إلى إزالة عقبة المجموعات الإسلامية المسلحة أمام المحور الأوراسي وتصفيتها لصالح الحكومة السورية، وذلك لتقوية محور أوراسيا وتفرّغه لمجابهة "المحور الأطلسي الشرير" في شرقي الفرات، كون الكرد يشكلون-

[4] حمي، فرهاد، حرب المواقع الشرسة بين التكتلات الاقتصادية في تركيا، NPA، 15/08/2019.
https://npasyria.com/blog.php?id_blog=3041&sub_blog=15%20&name_blog=%D8%AD%D8%B1%D8%A8%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%A7%D9%82%D8%B9%20%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D8%B3%D8%A9%20%D8%A8%D9%8A%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%83%D8%AA%D9%84%D8%A7%D8%AA%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D8%A9%20%D9%81%D9%8A%20%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7

حسب رؤيته ورؤية مناصريه الأتراك- تهديداً "للأمن القومي التركي"، ومساهمين في السياسة التقسيمية للشرق الأوسط التي تديرها الولايات المتحدة الأمريكية التي ستنال تركيا منها النصيب الأكبر، مع إلصاق تهمة أن الكرد في سوريا باتوا تحت الوصاية الإسرائيلية، من دون وجود أي دليل مادي أو معنوي على ذلك[5].

ما سبق قد يفضي إلى تفاهمات روسية- تركية مستدامة في سوريا، ومن هنا فليس من المستبعد أن تكون الجغرافيا السورية في خطر لأنها قد تكون ضحية هذه التفاهمات.

2- مشروع "الحزام والطريق" الصيني

إن كانت روسيا هي العقبة السياسية والعسكرية أمام تنفيذ مشروع "أسيا الوسطى الكبرى" الأمريكي، فإن الصين تشكل عقبة اقتصادية أمام توسيع نفوذها في آسيا الوسطى والشرق الأوسط، كما أن التفاهمات الاستراتيجية باتت كثيرة بين موسكو وبكين، وهو ما قد يفضي إلى إعلان وشيك "للحلف الأوراسي" بعد تثبيت مشروع "الحزام والطريق" الصيني، الأمر الذي يدق ناقوس الخطر بالنسبة لواشنطن.

تروّج الصين منذ صيف عام 2013 لمبادرة رئيسها شي جين بينغ في إطلاق مشروع ضخم يسعى إلى تسريع وصول منتجاتها إلى الأسواق العالمية[6]، وهو مشروع "طريق الحرير الجديد" أو مشروع "الحزام والطريق" الذي قام على أنقاض "طريق الحرير القديم"[7]، ويهدف إلى ربط الصين بالعالم عبر استثمارات ضخمة في البنى التحتية على طول طريق الحرير بفرعيه البري والبحري، ويشمل بناء المرافئ، والطرق، والسكك الحديدية، والمناطق الصناعية، ومد أنابيب الغاز الطبيعي والنفط، وخطوط الطاقة الكهربائية والإنترنت، الأمر الذي سيحقق لها السيطرة على طرق التجارة الدولية. وكان المشروع قد أُطلق لربط الصين بأوروبا، إلا إنه اتسع وتجاوز حدود أوراسيا ليضم إفريقيا، وأمريكا اللاتينية والوسطى، ومنطقة الكاريبي، ومنطقة جنوب الباسيفيك، وحتى تموز/ يوليو 2018 وقّعت أكثر من 100 دولة ومنظمة دولية وثائق تعاون مع الصين في إطار مبادرة "الحزام والطريق"[8].

إن طريق الحرير الصيني الجديد يهدد التفوق الأمريكي، ويمهد لحرب تجارية واقتصادية بين الطرفين تظهر بوادرها في التصعيد الجمركي الذي يمارسه إدارة ترامب ضد الشركات الصينية الصناعية والتجارية، لأن المشروع يسعى إلى انتهاج سياسة استقطاب القوى الدولية وضمها

---

[5] حمي، فرهاد، "الأوراسيون" حينما يقحمون الكرد في خانة "نظرية المؤامرة"، 08/08/2019، NPA.
https://npasyria.com/blog.php?id_blog=2867&sub_blog=15%20&name_blog

[6] علي، ندى، الطريق والحزام الصيني: الوجه الحقيقي للحرب الناعمة، شبكة النبأ المعلوماتية، 27/ 04/2019.
https://annabaa.org/arabic/economicreports/19068

[7] **طريق الحرير القديم:** كان الحرير الذي أنتجته الصين قبل ثلاثة آلاف سنة يأخذ طريقه من الصين إلى أرجاء العالم، ولم يقتصر الطريق على الحرير وحده، بل تسربت معه بضائع كثيرة من الصين وأقاصي آسيا إلى أواسط آسيا وشمال أفريقيا ووسط أوروبا، وقد اتخذ الطريق مسارات محددة، عُرفت منذ ذلك الوقت باسم "طريق الحرير". وكان لطريق الحرير تأثير كبير في ازدهار كثير من الحضارات القديمة، مثل الحضارة الصينية والمصرية والهندية والرومانية، كما لعب هذا الطريق دوراً مهماً في تلاقي الثقافات والشعوب، وتعلم لغات وتقاليد البلدان التي كانت على مساره. انظر:
https://n.annabaa.org/news38231

[8] مبادرة الحزام والطريق الصينية.. ثلثا العالم في مواجهة امريكا، وكالة النبأ- الأخبار، 28/04/2019.
https://n.annabaa.org/news38231

إلى المشروع، الأمر الذي سيكون على حساب النفوذ الأمريكي (السياسي والاقتصادي) في كل تلك الأماكن، وعليه فإن الولايات المتحدة تعدّ- إضافة إلى اليابان والهند- من أكبر منتقدي المشروع. وعلى الرغم من أن الإعلام الأمريكي يركز على روسيا، إلا أن كبار المسؤولين في الإدارة والبنتاغون يعدون الصين الخطر الأكبر على الهيمنة الأمريكية، فالصين تتمتع باقتصاد ضخم ومتنوع، وقد تنامت قوتها التقنية بصورة متسارعة، وسيضيف مشروع "الحزام والطريق" قوة مضاعفة لهذا الاقتصاد؛ ناهيك عن إمكانية اقترانه مع فكرة "الحلف الأوراسي"، مما قد يتيح فرصة التفوق على الولايات المتحدة كقوة عالمية مهيمنة، وهو ما لن تسمح به واشنطن، ومن هنا، فلن يكون من الغريب التصور بأن تتحول الحرب التجارية إلى مواجهة مسلحة.

تحرص تركيا على المشاركة الفعالة في مشروع "الحزام والطريق"، فقد أعربت تركيا في أكثر من مناسبة عن دعمها للمشروع ورغبتها في توسيع نطاق التعاون فيه، وقد شاركت في كافة المؤتمرات التي انعقدت من أجل التعريف والترويج له. كما أنه لا يغيب عن أذهان منظّري المشروع الموقع والعمق الاستراتيجي لتركيا بين آسيا وأوروبا، وقد أسهمت البنوك والشركات الآسيوية في مشاريع كبرى في تركيا، مثل مشروع مُنشَأة تخزين الغاز تحت الأرض، وهو يعد أكبر مشروع تخزين قيد الإنشاء في العالم، ويسهم البنك الآسيوي للاستثمار، الذي تقوده الصين، بشكل فعال ورئيسي في هذا المشروع، وقد أشار البنك نفسه إلى أن تركيا تأتي في صدارة الدول التي تحقق نمواً سريعاً في مشاريع خطوط أنابيب النفط والغاز. كما إن مشروع "الممر الأوسط" مشروع تركي يهدف ليكون جزءاً من مشروع "طريق الحرير الجديد"، وهو خطة لإقامة ممر نقل يربط بين كل من تركيا، وجورجيا، وأذربيجان، وتركمانستان، وكازخستان، كجزء من مشروع للربط بين لندن وبكين، وهي الفرصة التي يوفرها مشروع "الحزام والطريق" لإعادة العمق الاستراتيجي الذي يسعى صناع القرار في تركيا إلى فرضه، وهو ما يعيد مسألة موقع تركيا وعمقها الاستراتيجي إلى الواجهة، ولكنها هذه المرة تحظى باهتمام منظّري مشروعي "أوراسيا، والحزام والطريق"، ويشكّل ذلك هاجساً لمنتقدي المشروعين؛ إذ أنها كانت في الجانب الآخر، أي بجانب الغرب والناتو، طيلة الفترة الماضية، ويعدّ ميلها نحو المحور الروسي الصيني طعنة في الخلف، وفي الخاصرة، وهو ما يشكل الآن محور التناقض بين واشنطن وأنقرة، وما القضايا الأخرى إلا مجرد تفاصيل وإضافات لهذا التناقض.

يتنامى الحوار والتعاون التركي- الصيني بوتيرة متصاعدة، وهو ما يلاقي تشجيعاً وتحفيزاً من مراكز القرار والدراسات في تركيا، كما أن زيارات الرئيس التركي إلى بكين، ولقاءات وزيري خارجية البلدين تشير إلى تطور الشراكة بينهما، وقد تعهد الطرفان في أكثر من مرة بتعميق الثقة المتبادلة لبناء مصالح استراتيجية بين أنقرة وبكين، وتعرب الصين باستمرار عن دعمها في حماية أمنها القومي، واستقرارها، ونموها الاقتصادي والاجتماعي في ظل "الحرب الاقتصادية التي أعلنتها قوى دولية عليها"[9]. وقد وجّه حضور الرئيس التركي رجب طيب

[9] الشرقاوي، خالد، رسميًا.. الصين تعلن دعم تركيا ضد أمريكا، المصريون، 04/09/2019.

أردوغان للمؤتمر الذي تم الترويج فيه لمشروع "الطريق والحزام" في أواسط أيار 2017 ضربة قوية للعلاقات الأمريكية التركية، وقد حضر أردوغان هذا المؤتمر إلى جانب فلاديمير بوتين، في حين تغيّب عنه ترامب.

كانت العلاقات الصينية- التركية يعتريها الفتور بسبب التوتر الناتج عن قمع الصين لأقلية الأيغور المسلمة، ذات الأصول التركية، وكانت تركيا تسمي ذلك بـ "الإبادة الجماعية"، ولكي ترعى الصين اقتصاد تركيا المتعثر كان يتوجّب التغلّب على الخلافات السياسية التاريخية الرئيسية، التي تتعلق بهذه الجماعة، وهو ما أدى إلى تجاهل مسألة الأيغور وإعادة تقييمها من قبل تركيا، فقد نقلت شبكة التلفزيون الرسمية الصينية عن الرئيس التركي أردوغان قوله: "إنها حقيقة أن سكان العديد من الجماعات العرقية في إقليم شيجيانج يعيشون بسعادة وتنمية وازدهار في الصين"[10]، وهو تراجع واضح وصريح عن موقف تركيا السابق، وقد حدث هذا التغيير بعد محاولة الانقلاب في تركيا عام 2016، وبعد تطور الدور التركي في الصراع الدائر في سوريا. فقد أدت تداعيات هذين العاملين إلى توتر العلاقات بين تركيا وحلفائها الغربيين، وازداد الأمر سوءاً مع التزام واشنطن بتسليح الكرد السوريين لشن الهجوم على الرقة، العاصمة المزعومة لتنظيم الدولة (داعش) في ذلك الوقت، الأمر الذي أدى إلى استدارة كاملة، وتحول جذري في اتجاه السياسة الخارجية التركية.

مع كل ما سبق فمن السابق لأوانه اعتبار أن أنقرة قد مالت بكليتها إلى الجانب الصيني اقتصادياً؛ إذ إن ذلك يتطلب قيامها بتغيير سياستها تجاه الأيغور بشكل كامل، كما أن الميزان التجاري التركي لا يزال يحقق نسباً مرتفعة من جهة الصادرات والواردات في تعاملها مع الغرب، مقابل مستويات تعد متدنية في التعامل التجاري مع الصين حتى يومنا هذا. ولكن الباب يبقى مفتوحاً أمام احتمالات عديدة؛ لا سيما بعد تردد المستثمرين الأوروبيين والأمريكيين في منح تركيا ائتمانات مالية، الأمر الذي قد يخلق فراغاً يملأه الصينيون، وإذا تحقق هذا السيناريو، فقد يزداد التأثير السياسي لبكين على أنقرة لدرجة كبيرة، مما سيقربها من المحور الصيني- الروسي أكثر فأكثر.

ثانياً: أثر المستجدات الدولية في السياسية الأمريكية في الشرق الأوسط (إيران وتركيا)

1- الصراع الأمريكي- الإيراني

إن إيران ستكون إحدى الدول التي سيشملها المشروعان السابقان، وسوف يحقق "طريق الحرير الجديد" لها الانفتاح الاقتصادي على العالم، والالتفاف على العقوبات الاقتصادية التي تفرضها عليها واشنطن، وسيحقق لها تطوير البنية التحتية، وتشجيع فرص الاستثمار؛ لا سيما أن موقعها

https://almesryoon.com/story/1188103/%D8%B1%D8%B3%D9%85%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D9%86-%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%86-%D8%AF%D8%B9%D9%85-%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7-%D8%B6%D8%AF-%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D8%A7

[10] الصين وتركيا تتعهدان بالتعاون في مجال الأمن ومبادرة الحزام والطريق، الشروق، تموز/ يوليو 2019.
https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=02072019&id=a319f0c4-10d6-4b2d-9e9f-93b035deb889

الجغرافي يعد جسراً برياً بين دول الشرق الأسيوي ودول شرق المتوسط، وهو ما قد يدفعها إلى الاستماتة في الوصول إلى البحر المتوسط، فهو الهدف القديم الجديد، والغاية من تحقيق فكرة الهلال الشيعي. أما المشروع الأوراسي فسيمنحها قوة سياسية- دبلوماسية، وربما يصل بها الأمر إلى التحالف عسكرياً مع المحور الصيني الروسي فيما لو تطلب الأمر.

إن طبيعة العلاقة ما بين الولايات المتحدة وإيران ترتكز على هذه المعطيات بشكل كبير، واليوم بات يلوح في الأفق ما يشبه الأوضاع ما بعد الحرب العالمية الثانية وظهور الحرب الباردة، ونقصد هنا المواجهة المفتوحة على كل الاحتمالات ما بين الولايات المتحدة من جهة، وورسيا والصين من جهة أخرى، وهي صورة تكاد تكون طبق الأصل عن الصراع المحموم الذي وقع ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في ذلك الوقت؛ والإضافة الوحيدة في المشهد هو بروز دور إيران في هذه "الحرب"، ودور إيران قريب من الدور التركي في الحرب الباردة السابقة، ولكنه دور مقلوب، أي أنه الدور الذي يساعد في التمدد الروسي والصيني، ولا يمكن للولايات المتحدة الاستفادة منه في إنشاء سدٍ يعيق هذا التمدد مثلما استفادت من تركيا واليونان أمام تمدد الاتحاد السوفييتي عندما ضمتهما واشنطن إلى حلف الناتو عند بروز ملامح الحرب الباردة في ذلك الوقت، وهو ما سيدفع بالولايات المتحدة إلى التمسك بالكرد ومناطقهم في العراق وسوريا وتركيا وإيران في ظل رفض أنقرة مواجهة طهران ومن خلفها موسكو وبكين.

إن العلاقة ما بين طهران وواشنطن تصطبغ بصبغة سياسية ترسم العلاقة ما بين طهران وتل أبيب نصف إطارها، بينما ترسم المصالح الأمريكية نصفها الآخر. ففي الوقت الذي كانت فيه المواجهة على صعيد التصريحات ما بين واشنطن وطهران، باتت اليوم علنية وصريحة وبصيغة مواجهة فعلية في الخليج العربي، وهو ما سيتفاعل بشكل واسع في العلاقة بينهما في عدة ميادين، منها اليمن والعراق ولبنان والبحرين، بينما سيشكل الميدان السوري أوسع هذه الميادين بحكم الوجود المباشر للطرفين فيها، في الوقت الذي يعتمد تواجدهما في المناطق الأخرى على الوكلاء بشكل أكبر.

تشكل إسرائيل عائقاً كبيراً أمام المشروع الإيراني في الوصول إلى البحر المتوسط والمناطق المحيطة به، وهي إحدى أهم ممرات مشروع "الحزام والطريق" الصيني، وأهم المناطق الشرق أوسطية للمشروع الأوراسي، وبعيداً عن المثاليات الأيديولوجية والعقائدية؛ وإضافة إلى هدفها القديم للوصول إلى شرقي البحر المتوسط، فإن المشروعين الروسي والصيني يدعمان هذا الهدف، وهو ما يفسر سياسات إيران في المنطقة، وفي محاولاتها الجديدة في تضييق الخناق على إسرائيل.

تدرك تل أبيب مدى خطورة الطوق الذي تحاول إيران فرضه عليها، فهي تتمدد رويداً رويداً من اليمن، إلى العراق، إلى سوريا ولبنان، ولو كانت مصر والأردن متعاونتان معها، لكانت إسرائيل الآن في حالة أسوء. ومن هنا فإننا لو استثنينا الاستهداف الإسرائيلي لمحطة الكُبر السورية فسنلاحظ أن معظم الغارات الإسرائيلية تستهدف المراكز والنقاط الإيرانية في سوريا، إلى جانب استهداف مراكز حزب الله في سوريا ولبنان، ومؤخراً يبدو أن الحشد الشعبي بات

هدفاً جديداً لهذه الغارات. كما أن واشنطن تدرك أن هذا التمدد يفرض- في الوقت نفسه- طوقاً على مناطق نفوذها ومصالحها في الشرق الأوسط عامة، والخليج العربي على وجه الخصوص، وتتعامل مع هذا الأمر بجدية وحذر بالغين.

إن عدم رد إيران على الاستفزازات الإسرائيلية المتكررة في سوريا، وربما مؤخراً في العراق، مرده حسابات إيران العميقة بوجود فارق كبير في القوى، وهذا الفارق يكمن في عدم حصولها على السلاح النووي الذي تمتلكه إسرائيل منذ زمن بعيد، واليوم الذي سترد فيه إيران على هذه الاستفزازات هو لحظة امتلاكها لهذا السلاح، وهي اللحظة التي تسعى أمريكا بمنع حدوثها بالمطلق، وربما كان انسحاب واشنطن من الاتفاق النووي مع إيران سببه مخاوف ترامب وإدارته من عدم قدرة هذا الاتفاق من لجم إيران ومنعها من الحصول على هذا السلاح، وهو مطلب إيراني يبدو أنه غير قابل للمساومة من قِبل طهران، كما إن حرصها على الحفاظ على الاتفاق النووي قد يشير إلى استفادتها من فجوات الاتفاق في تنمية قدراتها النووية بما يخص الجانب العسكري.

2- العلاقات الأمريكية- التركية

بات واضحاً بأن البلدين يبتعدان عن بعضهما بعضاً في عدد من القضايا السياسية، وقد بدأ هذا الانعطاف في العلاقات منذ الانقلاب العسكري الذي تعرض له الرئيس التركي أردوغان أواسط عام 2016، وقد اتهمت الدوائر الاستخباراتية والسياسية التركية الولايات المتحدة بالوقوف وراء هذا الانقلاب، وهو ما دفع بالرئيس التركي بالتوجه نحو المشاريع الروسية والصينية آنفة الذكر منذ ذلك الوقت أو قبله بقليل.

أدت الأزمة السورية إلى انعطاف خطير في العلاقات الأمريكية- التركية؛ لا سيما بعد إسقاط أنقرة للطائرة الروسية أواسط عام 2015[11]، وبعد اليأس الأمريكي من تحقيق التيار الإسلامي أي تقدم في المنطقة العربية، ومن ضمنها سوريا، وكذلك امتعاضها من هذا التيار إثر مقتل السفير الأمريكي في ليبيا على يد الجماعات الإسلامية المتشددة، ورفض تركيا الانضمام- في البداية- إلى التحالف ضد تنظيم الدولة. وقد تزامن كل ذلك مع تفوق الكرد في سوريا وتحقيقهم الانتصارات على هذا التنظيم، ورغبة التحالف الدولي ضد التنظيم بقيادة الولايات المتحدة في دعمهم ثم التحالف معهم بشكل وثيق، مما أضاف الملح على جراح العلاقات الأمريكية- التركية، وفتح الطريق أمام أنقرة في رحلة البحث عن حلفاء جدد، وتثبيت التوجه الأوراسي كبوصلة لسياسة تركيا الداخلية وعلاقاتها الخارجية.

علينا أن نعترف بأن تركيا ما تزال تحافظ على العمق الاستراتيجي بحكم موقعها الجغرافي المتميز، ولكن السؤال هو: هل ستستفيد من هذا الموقع في المواجهة الباردة أو الحامية ما بين

[11] أردوغان يعتذر لبوتين عن إسقاط الطائرة الروسية، موسكو- فرانس برس، 28 حزيران/ يونيو 2016.
https://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/2016/06/27/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%85%D9%84%D9%8A%D9%86-%D8%A3%D8%B1%D8%AF%D9%88%D8%BA%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D8%B9%D8%AA%D8%B0%D8%B1-%D9%84%D8%A8%D9%88%D8%AA%D9%8A%D9%86-%D8%B9%D9%86-%D8%A5%D8%B3%D9%82%D8%A7%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A7%D8%A6%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A9

الولايات المتحدة من جهة، وروسيا والصين وإيران من جهة أخرى، كما استفادت منه إبان الحرب الباردة ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي؟

كان العمق الاستراتيجي لتركيا مغرياً جداً للولايات المتحدة للتصدي للتمدد السوفييتي في الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت الولايات المتحدة ترغب في الحفاظ على تركيا بعيدة عن أي اختراق سوفييتي يهدد المصالح الحيوية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، فاقترحت هيئة الأركان الأمريكية تحسين الوضع العسكري في تركيا، وكانت تركيا تعيش حالة من الضعف والركود الاقتصادي، فعملت واشنطن على تقويتها- إلى جانب اليونان- من خلال الدعم الاقتصادي والعسكري والسياسي، وقد كانت علاقة بين "الدولة والعميل"، وهو أمرٌ فرضته المساعدات التي قدمتها الولايات المتحدة لها؛ فضلاً عن الفارق الكبير في القدرات العسكرية بين الدولتين، في حين أن السياسة الخارجية التركية باتت تعتمد بشكل كامل على راعيتها، وأصبحت المساعدات الخارجية جزءاً لا يتجزأ من متطلبات تركيا الداخلية والخارجية، وبذلك ارتهنت تركيا اقتصادياً وعسكرياً وإدارياً للإدارة الأمريكية. وشكّل دخول تركيا إلى حلف الشمال الأطلسي (الناتو) ذروة الاندماج التركي في العالم الغربي، وقد تم قبولها مع اليونان عام 1952، بعد أن ألحّت كثيراً في طلبها، وتوالت- خلال فترات لاحقة- المساعدات الأمريكية للجيش التركي من معدات، وتدريب، وتمويل بمبالغ ضخمة[12]، حتى بات أقوى ثاني جيش في الحلف.

كان هذا في السابق، أما الآن فإن الاستفادة من العمق الاستراتيجي مرهون بحجم الارتباط التركي بسياسات واشنطن في المنطقة، والواقع يقول بأن أنقرة بعيدة كل البعد عن واشنطن في الوقت الحاضر، فهي تنتمي اليوم إلى حلف آستانة، وقد ضلّت الطريق نحو واشنطن والناتو، وهي تقف الآن في صف موسكو وبكين وطهران بشكل واضح، وهو أمرٌ لن يتساهل معه واشنطن، فالأولى في تنافس قديم معها، والثانية دخلت في حرب تجارية معلنة، والأخيرة بدأ الاستعداء بينها وبين الولايات المتحدة يأخذ مساراً صريحاً ومعلناً، وقد يقول قائل: ليس من المستبعد أن تساوم واشنطن على دماء الكرد أمام تركيا مقابل عودتها إلى الأوضاع القديمة. والجواب هو: هناك ما يشير إلى أن تركيا- ومن هنا تبدأ اللانهاية مشاكل- لا تستطيع الانسحاب من "حلف آستانه" بهذه السهولة في ظل كل هذا الانغماس في مشاكل المعارضة السورية، إلى جانب احتلالها للأراضي السورية من جرابلس حتى جسر الشغور وصولاً إلى شمالي حماة، وهي لا تزال ماضية في هذا الاتجاه، وإن استطاعت أو أرادت العودة فلن يكون الكرد هم الضحية، بل إن عودتها سيترتب عليه قبولها بالواقع كما هو، كون الكرد باتوا حلفاء استراتيجيين للولايات المتحدة والتحالف الدولي، وملتزمين معهم.

ثالثاً: منعكسات المستجدات الدولية في السياسة الأمريكية حيال الكرد والأزمة السورية

[12] Afacan, Isa Turkish-American Relations in the Post-Cold War Era, 1990-2005, Doctor of Philosophy in International Relations, Florida International University, Miami, Florida, 2011, p. 39-40.

إذاً الولايات المتحدة تخسر أهم حلفائها في المواجهة القادمة مع روسيا والصين وإيران، والبديل الوحيد في هذه الحالة هم الكرد؛ بالإضافة إلى حلفائها التقليديين في المنطقة مثل دول الخليج ومصر وإسرائيل. فالمناطق الكردية تحظى بأهمية استراتيجية في الشرق الأوسط، وستكون البديل المناسب عن موقع الأناضول، وهو ما نعتقد بأنه يمضي على قدم وساق. فقد بات الكرد اليوم حلفاء أقوياء لواشنطن، ويستكملون شروط تحولهم إلى حلفاء استراتيجيين لها، وقد أشار مساعد وزير الدفاع الأمريكي إلى أن أفضل تجارب التحالف في الشرق الأوسط كانت مع ثلاث قوى، هي العراق والأردن وقوات سوريا الديمقراطية[13]. وتدرك واشنطن الآن بأنه لولا القضية الكردية لهرولت القيادة التركية باتجاه المحور الروسي- الصيني من دون تردد، ولكان الانفصال التركي الأمريكي أسهل بكثير، وهذا يعني بأن هذه القضية تقف في صلب حالتي السبب والنتيجة بالنسبة لعلاقات تركيا الخارجية.

1- التهديدات التركية لشرقي الفرات

تركيا جادة في تهديداتها، ولا يخفى على أحد حقيقة أن قادة الترك في الماضي القريب أعلنوا صراحة بعدم قبول كيان كردي ولو في جنوب إفريقيا، وقد أضاف الرئيس التركي أردوغان إلى النص جملتين جديدتين، فإما أن يقبل الكرد العيش أذلّاء أو يدفنوا تحت التراب. وقد يقول قائل: ها هو إقليم كردستان كيان كردي يعيش بالقرب من تركيا، وأنقرة تقبل به وتقيم العلاقات معه. وهنا علينا أن نتذكر، بأن الإقليم واقع فرضه دماء شهدائه وتضحيات أهله، ولم يكن الترك فرحين بقيامه؛ إذ أن نشوءه كان من تداعيات قرار أممي إبان عملية "الأنفال"، بعد أن عملت واشنطن مع حلفائها في أوروبا الغربية على تمرير قرار مجلس الأمن رقم 688 في 5 أبريل 1991[14]، الذي شجب قمع صدام حسين للكرد، واستخدمت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا القرار لفرض منطقة حظر جوي بالنسبة للطائرات العراقية في شمال خط العرض 36 استناداً إلى بنود الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة المتعلق بحالات تهديد السلم والأمن الدوليين[15]، ولم يكن للترك القدرة على رفضه؛ فضلاً عن قبولهم لفكرة حظر الطيران كبديل عن استقبال مئات آلاف اللاجئين الكرد الفارين من جحيم الحرب. كما علينا أن نعي حقيقة أنهم لو انتهوا من مشاكلهم مع الكرد الشماليين فإنهم سيحاربون الكرد الجنوبيين، وعملية الاستفتاء

---

[13] عويس، هديل، مساعد وزير الدفاع الأمريكي: سوريا الديمقراطية مكنتنا من تحرير المنطقة رغم بساطة الدعم الأمريكي، NPA، 31/07/2019.
https://npasyria.com/blog.php?id_blog=2647&sub_blog=10&name_blog=%D9%85%D8%B3%D8%A7%D8%B9%D8%AF%20%D9%88%D8%B2%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%B9%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A:%20%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%85%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%B7%D9%8A%D8%A9%20%D9%85%D9%83%D9%86%D8%AA%D9%86%D8%A7%20%D9%85%D9%86%20%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82%D8%A9%20%D8%B1%D8%BA%D9%85%20%D8%A8%D8%B3%D8%A7%D8%B7%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B9%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A

[14] نص القرار باللغة العربية من الموقع الرسمي للأمم المتحدة:
(https://undocs.org/ar/S/RES/688(1991

[15] حظر الطيران، موسوعة الجزيرة.
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/military/2011/3/3/%D8%AD%D8%B8%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86

في الماضي غير البعيد خير دليل على ذلك، فقد كانوا من أشد الرافضين لها؛ إذ سرعان ما عقدت تركيا اللقاءات مع إيران والعراق رغم كل الخلافات فيما بينها، وحشدوا جيوشهم ومدرعاتهم لردع إتمام مرحلة ما بعد الاستفتاء.

إن التهديدات الجديدة والمستمرة من قبل الرئيس التركي أردوغان بالتحرك عسكرياً نحو شرقي الفرات هي لممارسة الضغط مجدداً على واشنطن كي ترضخ للمطالبات التركية في احتلال هذه المنطقة، وهي تتزامن مع فتح الطريق أمام اللاجئين السوريين الذين وصلوا إلى اليونان، وهذه الحركة كانت بمثابة رسالة تحذير تركي للدول الأوروبية بأنهم سيفتحون هذه الأبواب في وجهها، ما لم تتدخل أوروبا في قضيتين اثنتين هما: وقف تقدم الحكومة السورية وروسيا نحو مناطق احتلالها غربي الفرات، ودعمها في إنشاء منطقة آمنة في شرقي الفرات لاحتلالها وتوطين هؤلاء اللاجئين فيها؛ هذا بالإضافة إلى كونها عملية ابتزاز وخطوة انتهازية جديدة لدفع الدول الأوروبية إلى منحها مساعدات مالية مقابل منعها خروج اللاجئين من تركيا باتجاه أوروبا.

2- أبعاد الاتفاق الأمريكي- التركي وفكرة "المنطقة الآمنة"

أثارت "المنطقة الآمنة" الكثير من الجدال والنقاش في المنابر الإعلامية، وعلى منصات وصفحات وسائل التواصل الاجتماعي في الأيام الماضية، وكانت النقاشات تدور حول الهدف التركي من بناء هذه المنطقة، وعن جدية واشنطن في بنائها. فالمنطقة الآمنة هي موجودة فعلاً، ونقصد بها تلك المنطقة التي تتعم بالأمان والاستقرار منذ أن تم حمايتها من تمدّد تنظيم الدولة من قِبل وحدات حماية الشعب ثم قوات سوريا الديمقراطية، وهي الآن ومنذ معركة كوباني تحت حماية تحالف دولي مؤلف من 80 عضواً[16]، وتم تثبيت معالم هذه المنطقة بعد القضاء على آخر معاقل هذا التنظيم شرقي الفرات. وما تزال عملية تأمين الأمن والاستقرار فيها جارية، إلا أنها تتعرض للخرق من قبل خلايا داعش النائمة، وتزداد شدة الخرق مع كل تهديد يوجهه الرئيس التركي أردوغان بالتحرك نحو شرقي الفرات.

إن الحديث عن المنطقة الآمنة من الناحية القانونية سيسير حتماً في مسارات أخرى تمر عبر مفاهيم القانون الدولي الإنساني، وميثاق الأمم المتحدة، والاتفاقيات الدولية ذات الصلة. فرغم شيوع هذا المصطلح إلا أنه مصطلح غير رسمي، يُقصد به الإعلان عن مناطق محددة خارج حدود ونطاق العمليات العسكرية، وكانت واحدة من الاستجابات الدولية الرئيسية للنزاعات في التسعينيات، وكانت مزيجاً من القانون والعمل الإنساني؛ إذ لم يرد لهذا المصطلح أي ذكر إلا في اتفاقيات جنيف الأربعة عام 1949، ولا سيما الرابعة منها المؤرخة في 12 آب/ أغسطس 1949، والخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب من خلال المواد 14 و15، ومن خلال نص المادة 23 من ملاحق اتفاقيات جنيف لعام 1977، من دون أن تعطي تعريفاً دقيقاً لتلك المناطق. كما ولا توجد مادة واحدة من ميثاق الأمم المتحدة تنص على إنشاء مناطق آمنة[17]،

[16] https://theglobalcoalition.org/ar/

[17] هاجر، ختال، تدخل الأمم المتحدة لوقف انتهاكات حقوق الإنسان في كردستان العراق عام 1991، رسالة ماجستير، جامعة باجي مختار عنابة- كلية الحقوق، إشراف أ.د منتري مسعود، 2010-2011، ص157-158.

ومع ذلك فقد ظهرت عدة تجارب عملية لها، كالحالة في شمال العراق (إقليم كردستان) والكويت عام 1991، وفي البوسنة والهرسك عام 1993، في راوندا عام 1994، وكانت كلها تحت وصاية الأمم المتحدة بعد صدور قرار بشأنها من مجلس الأمن، وخضعت لشروط لوجستية وعسكرية، ومنها الاتفاق في ما بين الأطراف المتنازعة على إقامتها أو فرضها بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، وإزالة الصفة العسكرية عنها، وإخضاعها لإدارة مدنية. وتوفير حماية عسكرية لها من قبل الأمم المتحدة أو قوات تحالف دولي مكلف من قبلها، وفرض حظر جوي لحمايتها وتوفير ممرات آمنة لإيصال المساعدات الإنسانية.. وغير ذلك[18].

في الحقيقة تم رسم الملامح الأولى لهذه المنطقة (منطقة الأمن والاستقرار) من الاتفاق المُبرم بين الولايات المتحدة وروسيا في 10 أيلول/ سبتمبر 2016[19] في جنيف، الذي جاء نتيجة مباحثات طويلة بين الطرفين لتجنب وقوع أي حادث بين طائراتهما الحربية إثر بدء روسيا عمليات عسكرية في سوريا منذ أواخر أيلول/ سبتمبر 2015[20]، في الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة تقود تحالفاً دولياً في سوريا والعراق لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية منذ أيلول/ سبتمبر 2014[21]، ويبدو أنه كان يحوي بنوداً سرية، حيث هددت روسيا بنشرها بعد أيام من توقيعه، وكانت واشنطن قد أخفت هذه البنود حتى عن أقرب حلفائها. ويبدو أن الطرفين اعتمدا- من دون ذكر ذلك في بنود الاتفاق- نهر الفرات حداً فاصلاً ما بين مناطق انتشارهما، وكثيراً ما تعامل التحالف مع القوى التي حاولت اختراق المنطقة بشكل حازم ومن دون تردد، رغم اختراق واشنطن وحلفائها لهذا الحد من خلال تنفيذ عمليات عسكرية في غربي الفرات في أكثر من مناسبة، مقابل الرد الروسي بالقول: إن هذه العمليات تناقض الاتفاقيات السابقة بين موسكو وواشنطن.

إن "المنطقة الآمنة" بالنسبة لتركيا تتخطى مسألة "مخاوفها الأمنية"، فالكل يدرك أن الحدود الحالية آمنة من جهة سوريا، وبأن الكرد لن يُحرِجوا حلفاؤهم في التحالف بتهديد أمن الحدود مع تركيا، وهي مستباحة فقط من جهة تركيا (بناء الجدار من جهة، وخطورة عمل الفلاحين في أراضيهم المحاذية لهذه الحدود من جهة أخرى، وعمليات الاستهداف المباشرة لضحايا أبرياء عبر الحدود)، فهي ترمي من بناء هذه المنطقة إلى عدة أهداف منها:

1- القضاء على التجربة الديمقراطية التي أسسها الكرد في شمال سوريا، فقد صرح الرئيس التركي أردوغان بأنهم إن لم يدخلوا شرقي الفرات فإنهم سيندمون لاحقاً، وهو يعي ما يقول.

---

[18] حميدي، محمد نور، مفهوم المنطقة الآمنة من وجهة نظر السياسة والقانون، زمان الوصل، 07/09/2019.
https://www.zamanalwsl.net/news/article/111981/

[19] أهداف الاتفاق الروسي الأمريكي في سوريا، الخليج أونلاين، 17/09/2016.
https://alkhaleejonline.net/%D8%A2%D8%B1%D8%A7%D8%A1/%D8%A3%D9%87%D8%AF%D8%A7%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7

[20] حول التدخل الروسي في سوريا
https://syrianarchive.org/ar/collections/russian-airstrikes/background.html

[21] https://theglobalcoalition.org/ar/

2- إعادة توطين اللاجئين السوريين المنتشرين في تركيا؛ إذ تتيح هذه السياسة لأنقرة التخلص من أعباء هؤلاء اللاجئين، بعد أن أسهمت أوضاعهم في تأزّم الأوضاع السياسية والاقتصادية الداخلية في تركيا، كما إنها ستسهم في تغيير ديموغرافيّة المنطقة بما يقضي على الأغلبية الكردية فيها.

3- إن الانتشار العسكري لتركيا بعمق 35-40 كم هو اتمام المرحلة الأخيرة لأهداف الميثاق الملّي في سوريا، وسيتم من خلاله إحكام السيطرة التركية على كامل الشمال السوري بدءاً كسب إلى جبال سنجار على الحدود السورية العراقية.

إن الحديث عن "المنطقة الآمنة" في المباحثات الأمريكية التركية هو شيء آخر، وهو أمرٌ يتعلق بعدم رغبة واشنطن في خسارة تركيا كحليف رغم شرائها السلاح الروسي S400، ورغم أن العلاقة باتت أوهن من "شعرة معاوية"، وهي تسير في مسارين اثنين، الأول تخليص تركيا من مخاوفها حيال "أمنها القومي"، وثانياً إيجاد أرضية جامعة ترضي حليفيها، الكرد وتركيا. وكثيراً ما ردّدت الأطراف الأمريكية (الرسمية والإعلامية) بعدم وجود أي اتفاق أو حديث حول "منطقة آمنة"، وأن ما يتم الحديث عنه هو إيجاد آلية مشتركة (غرفة أو مركز عمليات) تبدد مخاوف تركيا الأمنية.

إن التسمية الصحيحة لهذا الاتفاق هو: "أمريكا تمنع تركيا من دخول شرقي الفرات"، وهي مرحلة دبلوماسية، وستستمر على هذا الأساس إن استمرت تركيا الخوض في حل الأزمة بالطرق السلمية والدبلوماسية، وقد تتطور إلى العمليات العسكرية على الصعيد الأمريكي فيما لو أصرت تركيا دخول شرقي الفرات بشكل منفرد. فالولايات المتحدة غير ملزمة ولا مجبرة على التنازل لتركيا لمناطق حيوية واستراتيجية كشرقي الفرات، وهي التي تحلّق خارج سرب الناتو، وتتعامل مع إيران وتخترق العقوبات الأمريكية عليها، وتتعامل مع الأزمة السورية بالتوافق مع روسيا وإيران، وتدخل في صلب النظرية الأوراسية، وتسهم بفعالية في الحزام الصيني. كما أنها لم تعد مجالاً حيوياً مغرياً للاستثمارات الأمريكية في ظل وجود دول الخليج التي تسد هذه الفجوة بنجاح، في الوقت الذي تعيش فيه هذه الدول قلق التمدد التركي في قطر، وأصبحت في مواجهة مباشرة أمام التهديد التركي- الأخواني.

ما سبق يعكس اضطراباً واضحاً في السياستين الداخلية والخارجية التي تعيشها تركيا، فمن الداخل بات سقوط الرئيس التركي أردوغان وحزب العدالة والتنمية بحكم المؤكد، وهو سيحاول بشراسة منع هذا السقوط، لكن المعارضة باتت أقوى، والكثيرون من مناصريه انشقوا عن حزبه واحداً تلو الآخر, بينما خارجياً فقد أصبحت تركيا الآن تعيش ما بين المطرقة الروسية والسندان الأمريكي، والجميع يترقّب ما ستؤول إليها النهايات بتلهّف شديد.

النتائج والتوصيات..

1- إن التغيير في موازين القوى لصالح الجناح الشرقي في العالم (روسيا والصين) سيخلق تناقضات كبرى بين القوى العظمى من حيث المصالح الاستراتيجية والاقتصادية، وسيكون لها تبعات عميقة في السياسية الدولية عامة، والسياسة الأمريكية في أسيا الوسطى والشرق الأوسط

خاصة، وهو ما ينذر بوجود مخاطر حقيقة تهدد العالم بأسره فيما لو اتخذت هذه الصراعات والمنافسات الطرق التقليدية في تطور الأزمات، أي تحولها إلى حروب عسكرية ميدانية (حسب التجارب السابقة)، وهذه الحروب التي يُعتقد بأنها لن تكون حروباً تقليدية؛ لا سيما أن الأطراف الرئيسية كلها دول نووية من الدرجة الأولى، ما سيفضي إلى حدوث دمار عالمي لم تشهده البشرية من قبل. ومن البديهي أن كل الفرقاء يعون هذه القضية، لذا فعلى الأرجح أن العالم الإنساني سيستمر على ما هو عليه من حروبٍ باردة، وناعمة، وحروبٍ بالوكالة، وسباق في التسلح، وصراع على مناطق الانتشار والنفوذ والمصالح.

2- إن كانت إيران تشكل المشكلة المركزية التي تسبب حالة عدم الاستقرار في الشرق الأوسط من وجهة نظر الخارجية الأمريكية، فإننا نعتقد بأن هناك ضرورة لتشكيل قائمة تضم العناصر التي تؤدي أداوراً مركزية في حالة عدم الاستقرار في هذا الشرق، وهذه القائمة ستضم تركيا بكل تأكيد، إما في الخانة الثانية أو الأولى، فإيران تحاول تحقيق "الهلال الشيعي" ونشر "الفرسنة"، وتركيا تحاول السيطرة على العالم السني من خلال "العثمنة الجديدة"، وقد أسهمت كلا الدولتين في خلق دمار هائل في الشرق الأوسط، وأزمات خلّفت ضحايا لم يعد بالإمكان إحصاء أعدادها، في سبيل تحقيق أهدافها.

3- تسهم تركيا بشكل إيجابي في كل تلك المستجدات، وبدأت تقترب من الطرف المناهض للولايات المتحدة (الجناح الشرقي من العالم)، وتبتعد رويداً رويداً عن محور الغرب وحلف الناتو، وهذا الأمر لن يكون من دون تبعات، فالولايات المتحدة ستشهر السلاح الاقتصادي في وجهها، وهو ما قد يتفاداه الأتراك- تحسباً- بالانضمام إلى المشروع الصيني والمشروع الروسي، كما أنها ستشهر بالورقة الكردية، بعد تجربة ناجحة من التعاون والتحالف مع الكرد.

4- ما أن تعصف الأزمات الداخلية (السياسية والاقتصادية) بتركيا التي تصل إلى حد بروز التناقض المجتمعي التركي، فإن ساستها يهرعون إلى ضرب الكرد داخلها وخارجها، لأن هذا يبدو وكأنه الأمر الوحيد الذي يجمع شمل الأتراك. ومن جهة أخرى، فهم يدركون بأن الكرد باتوا منظمين جداً، وفي كل مناطقهم في إيران والعراق وتركيا وسوريا، وما أن تسنح لهم الفرصة لنيل حقوقهم فلن يضيعوها أبداً، كما حدث في فترة الحرب العالمية الأولى وما بعدها، لذا تسعى تركيا إلى تشتيت هذه التناسق، وما حملاتها العسكرية الأخيرة ضد حزب العمال الكردستاني في مناطق تمركزه، ومحاولة ضرب التجربة الديمقراطية الكردية في سوريا، وملاحقة برلمانيي حزب الشعوب الديمقراطي واعتقالهم، وإقالة رؤساء البلديات الكردية في تركيا إلا خير دليل على ذلك.

5- إن الأزمة السورية باتت مرتبطة بهذه المستجدات الدولية وتبعاتها (النظرية الأوراسية، والحزام الصيني، والتمدد الإيراني، والتدخل التركي)، وذلك بسبب ارتباط القوى الفاعلة في سوريا بهذه المستجدات، وهي التي تساعدنا في فهم ورسم ملامح الفترة القادمة على المدى المنظور القريب والمتوسط، وأهمها هو أنه لا خطر على شرقي الفرات، وإنما الخطر الأكبر على جهة الغرب منه (جرابلس، والباب، وإعزاز، وعفرين، وإلى حدّ ما إدلب التي قد ينقذها فقط حجة كونها تحت سيطرة جبهة تحرير الشام، النصرة سابقاً)، ويبدو أن التوافق الروسي- التركي أعمق من الارتباط الروسي- السوري بحكم المستجدات الدولية الآنفة الذكر، مما قد

يفسح المجال أمام محاولة تركيا الحفاظ على احتلالها لها أمام التساهل الروسي أولاً، والدولي ثانياً، وتجربتها في احتلال قبرص، ومعسكراتها في إقليم كردستان مؤشرات خطيرة على عدم انسحاب تركيا من المناطق التي تستقر فيها.

6- إن تركيا جادة في وعيدها، ولن تتردد فيما لو سنحت لها الفرصة في القضاء على العش الكردي في شمال شرق سوريا، ولكن الظروف الحالية التي أوجدتها هذه المستجدات سيغيّر الكثير من المعادلات، فواشنطن تدرك بأن تركيا لن تدخل أبداً في حلف يعادي إيران لأسباب عديدة، لعل أهمها القضية الكردية في الدولتين؛ فضلاً عن سلسلة متواصلة من التفاهمات التاريخية ما بين الطرفين تؤكد هدوء العلاقات بينهما منذ اتفاق الحدود الأول في القرن السابع عشر، وهي بغنى عن استحداث حالة عداء مع دولة جارة تجمعهما مشاكل وعلاقات اقتصادية مشتركة. كما أنها ماضية في العمق الأوراسي الذي لا يبدو الرجوع منه ممكناً في ظل كل هذه التفاهمات مع موسكو وكل هذه الخلافات مع واشنطن، كما أنها الآن تشاطر الصين في الرؤية المستقبلية لمشروع "الحزام والطريق" الصيني، وهي قضايا تمس جذور الهيمنة الأمريكية، ومصالحها الاستراتيجية، ومناطق نفوذها وانتشارها في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى.

7- إن الكرد قاتلوا الشر بقتالهم داعش دفاعاً عن مناطقهم وعن سوريا والعالم، في حين أن تركيا هي التي زرعت الشر، فقد فتحت الطريق- ذهاباً وإياباً- أمام عناصر تنظيم الدولة، وأسهمت في تمدده، وموّلته، وأمّنت المشافي لجرحاه، وعلى العالم الإنساني الحر أن ينظر في هذه المعطيات بتمعّن! فتركيا التي جاورت تنظيم الدولة لعدة سنوات لم تطالب بمنطقة آمنة لحفظ أمنها؛ إذ لم يشكل التنظيم تهديداً "للأمن القومي" التركي. ومن الواضح أن كل الدلائل والوثائق التي تؤكد ارتباط تركيا ومؤسساتها السياسية والاستخباراتية بتنظيم داعش موجودة، وهي بحوزة الغرب (غرب أوروبا والولايات المتحدة) وأمام أعينهم، إلا أن العلاقات الاقتصادية المعقدة، وعمق تركيا الاستراتيجي ودورها في الناتو، وقضية اللاجئين.. وغيرها، كلها قضايا تعيق الغرب لاتخاذ التدابير اللازمة لمحاسبتها.

8- إن المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط اليوم باتت مرهونة- في ظل هذه المستجدات- بحجم تشاركها مع حلفائها لأزماتهم في هذه المنطقة، فتفاقم وتطور هذه المستجدات سيشكل حالة أخطر بكثير من فترة الحرب الباردة في ظل توحيد جهود العملاقين الصيني والروسي؛ إلى جانب أطراف دولية كالهند وباكستان، وإقليمية كإيران وتركيا، ومن هنا يجوز الاعتقاد بأن أول طلقة سيتلقّاها المقاتل التركي أو مقاتل المعارضة قد تكون أمريكية قبل أن تكون من عناصر قوات سوريا الديمقراطية فيما لو حاولوا اجتياز الحدود نحو شرقي الفرات بشكل أحادي.